

السردية النسوية وسؤال الأنساق الثقافية

Le récit féministe et la question des formats culturels

الدكتور: عبد العزيز بن دريس

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف - الجزائر

الملخص:

تتم هذه الورقة بتسليط الضوء على مسار السردية النسوية قصد الاجابة عن الانشغال العام الذي يفرض نفسه في شكل أسئلة الكتابة عند المرأة، ومحور تشكّلها، والنظر في ايقاع تجدها المتصاعد بشكل مذهل، بحيث لو أجرينا مقارنة تاريخية بسيطة بين المرأة والكتابة لتوصلنا الى نتيجة مهمة أثبتتها الدراسات النقدية والثقافية وهي أن الرواية كجسد للكتابة بدأت حيث انتهت الحكاية، وهي اللحظة الآتية التي يتوازن فيها زمن الحكاية مع زمن الفعل (السرد) الذي يأخذ زمام المبادرة في الحكاية من جديد مما يستوجب تحكيم منطق السرد بشروط الفعل الفني والتقني الذي يعتبر عاملا حاسما في تخريج النص اما بنجاح الرواية أو بفشلها .

إن كتابة نص المرأة تحركه الرغبة في الحكاية وشهوة امتلاك به، فهي حين تكتب تعرك مع الكتابة ذاتها ليتوحد في جسد واحد حيث تتلاشى التخوم بين الجسد البيولوجي وجسد النص ومن خلاله نحاول كشف عمل السردية النسوية في كسر جدار الصمت وتحطيم نسق الهيمنة الذكورية للنسق الثقافي على أساس مفاهيم إيجابية تنبني على الشراكة التعاون بين الجنسين، وليس على مفاهيم الصراع والتصادم كما يروج له البعض.

الكلمات المفتاحية: السرد؛ النص؛ المرأة؛ الرواية.

Résumé: La prise en charge de cet article est de mettre en évidence le chemin narratif féministe afin de répondre à la préoccupation du public qui s'impose sous la forme de questions d'écriture lorsque les femmes, et l'axe formé, tenez compte du rythme de renouvellement hausse spectaculaire, de sorte que si nous avons une approche simple historique entre les femmes et l'écriture, nous avons atteint un résultat important. Si l'étude monétaire et culturelle est que le roman comme un corps d'écriture a commencé où il a terminé l'histoire, qui est le moment immédiat lorsque le temps de la narration équilibrée avec le temps du verbe (récit), qui prend la tête de l'histoire à nouveau, ce qui nécessite une logique narrative d'arbitrage des termes d'acte artistique et technique, ce qui est un facteur Décisif dans la graduation du texte du roman soit avec succès ou de l'échec.

Les femmes texte d'écriture animé par le désir de raconter des histoires et la convoitise de posséder, il est quand vous écrivez Mélanger avec l'écriture elle-même d'unir en un seul corps où les frontières se dissipent entre le corps biologique et le corps du texte et par lequel nous essayons de découvrir le travail narratif des femmes à briser le mur du silence et de détruire le modèle de la domination masculine du modèle culturel sur la base de Concepts positifs basés sur le partenariat et la coopération entre les sexes, pas sur les concepts de conflit et de collision comme promus par certains.

Mot clés : Récit, texte, femme, roman.

تأصلت لدينا فكرة البحث في المنجز الابداعي للمرأة العربية عامة والمرأة الجزائرية خاصة عبر سؤال الكتابة عند المرأة من خلال مدونة النص الروائي النسوي الذي جعلناه محور اهتمامنا في هذا الفصل التطبيقي بإخضاعه للمساءلة والتأويل والتشوير، وطرق أبواب المسكوت عنه لمحاورة مخبوء الذات الأنثوية واستعطاف مشاعرها الآدمية المكبوتة بين السطور والعتبات في شكل تيمات نصية تستوقف القراءة والتمعن في سبيل تدفقها ومعرفة مقاصدها .

و يبقى النص النسوي عصيا عن كشف هويته الحقيقية إلا بتفعيل آليات القراءة والاستنجد ببعض مناهج العلوم الانسانية كالمناهج النفسي مثلا، وكان المقام الأنسب للقيام بهذا العمل اتباع منهج المقاربة الموضوعاتية لاستقطاب الظواهر المتكررة عبر وحدات النص وملاحظة أسباب حضورها وانتشارها ومعرفة أسرارها وعائم ارتكازها من خلال مسح أفقي لأهم المواضيع التي تطرق اليها الخطاب النسوي، فهو سعي «لفهم تجربة ما في الوجود - في العالم - كما تحقق في العمل الأدبي والناقد يحاول الوقوع عليها من خلال الوحدة الكلية العضوية للنص المدروس وينعكس هذا الطرح الشمولي في اختيار موضوعات متميزة للتحليل¹، عالم يقع على تخوم الذات والموضوع على الرغم من مخاطرة التقاطع الافتراضي لهذه الأخيلة.

- المبدأ الشمولي : القراءة الموضوعاتية للأدب

- تجربة أكثر من كونها معرفة

- وعي مزدوج : وعي بالذات ووعي بما يحيط بها (العالم الخارجي) كما يقول ريتشار في كتابه ((قراءات مصغرة)) microlectures «لم تعد القراءة هنا مسيرة ولا تحليقا، إنها بالأحرى إصرار وتمهل ونذر بقصر البصر، إنها تتقل بالتفاصيل التي يشكل كل منها حبة من حبيبات النص»²

فالموضوع - في النص - هو النقطة التي يتبلور عندها الحدس بالوجود متجاوزا النص ذاته، لكنه في الوقت نفسه لا يوجد مستقلا عن الفعل المؤدي إلى إظهاره .

يبدو أن أكثر المعايير بداهة هو معيار تكرار الكلمة، غير أن الموضوع غالبا ما يتجاوز الكلمة، وقد يتغير معناها من تعبير لآخر لذلك فإن المؤشر الأكثر موثوقية هو «القيمة الاستراتيجية للموضوع، أو إذا شئنا هو الخاصية الموقعية topologique ويعتبر هذا المعيار حاسما، فالقراءة الموضوعاتية ليست إطلاقا كشفا بالتوترات بل هي جملة الصلات التي يرسمها العمل الأدبي في علاقاتها بالوعي الذي يعبر عن ذاته من خلالها»³

وما ساهم في نضج هذه المقاربة التحليلية وفرة المنتج الابداعي للمرأة العربية في هذا النوع الأدبي، وبعد الاطلاع على مجموعة من الأعمال الروائية لعدة روائيات جزائريات ارتأينا اختيار ثلاثة نماذج روائية هي كالآتي:

- رواية " الذروة " للكاتبة والشاعرة ربيعة جلطي.

- رواية " بحر الصمت " للكاتبة ياسمينه صالح

- رواية " اعترافات امرأة " للكاتبة عائشة بنت المعمورة . ولم يكن الاختيار سهلا نظرا للحضور القوي للكاتبة

الجزائرية صوتا وإبداعا .

بدأنا في مستهل هذا العمل بعرض هيكلية البناء السردي لهذه النصوص الابداعية ثم يتقاطع البحث بعد ذلك بالموضوع حول تقديم أبرز الظواهر النصية والكونية المستقطبة اهتمام القارئ، وهي تتمفصل في بؤر حكي جزئي لتتوحد في الأخير لتعبر عن هم واحد تتقاسمه المرأة للتعبير عن كينونتها .

كان من الأنسب أن نقدّم أهم المحطات التي انبنت عليها خطة هذا البحث الموجز، وتعدّر علينا عرض كل تفاصيله لأن ذلك سيستغرق مساحة أطول، ولكننا ربما للجهد اكتفينا ببعض الملاحظات الهامة والمميزة لتحولات الخطاب النسوي الجزائري .

وقبل ذلك نتعرض لتقديم الصورة السردية العامة لواقع المرأة في المجتمع العربي من خلال مقارنة تاريخية موجزة.

1. واقع المرأة في المجتمع العربي :

صورة الظلم والتهميش التي انغrust في جبلة البشرية منذ فجر التاريخ، بل منذ بداية الخلق متشعبة بمسوغات الدين أو العرق أو الجنس . فالمرأة عانت أشكالاً عديدة من التمييز وصل حد الإبادة (الوَأْد) والاغتصاب والاعتداء مرتحنة بالمعتقدات البائدة التي تشيئ المرأة وتعتبرها سلعة مملوكة تابعة لإرث الرجل الذكر الفحل الذي يحق له التصرف فيها كيفما شاء، هذه النظرة الدونية التي استعبدت المرأة لسيدها وجعلتها وصيفة لرغباته وشهواته، انعكست سلباً على أداء المرأة وعمقت من جراحها وعذاباتها، داخل هذه المنظومة الثقافية المكبلة بأغلال الجاهلية الأولى التي حكمت عليها مسبقاً بالتبعية والخضوع بدون شروط.

منذ القدم ساد الاعتقاد أن الاختلاف البيولوجي يفسره اختلاف الأدوار الاجتماعية بين الجنسين تطبع عليها العرف الاجتماعي شيئاً فشيئاً حتى رسخت في بنية المجتمع النفسية والعقدية وأصبحت اختلافات غير قابلة للتغيير أو المراجعة متحججة بمنطق الاختلاف البيولوجي، ونتيجة لذلك تكونت قيم الخصوصية والتمايز لكل من المرأة والرجل معلنة صراعاً خفياً يترجمه واقع الكتابة عند المرأة، فنجد مثلاً المرأة منزوية إلى العاطفة مهمتها التربية والعمل في مؤسسة الرجل (البيت)، أما الرجل فمشدود بالعقلانية مهمته التفكير الجدي في وضع خارطة الطريق التي تضمن السير الحسن لمجتمعه، فجال عمله منفتح على العالم الخارجي بعكس المرأة .

لقد عملت هذه النظرة الاحتقارية العنصرية على التقليل من مكانة المرأة، والتضييق على قدراتها وإمكاناتها في مبدأ التكافؤ والاندماج في بيئتها، حتى تستطيع التأثير والمشاركة إلى جانب الرجل في إرساء قواعد البنى الأساسية للمجتمع سياسياً، اقتصادياً واجتماعياً .

من خلال هذه الرؤية الضيقة بدأت تتسع فجوة الفروقات العنصرية أكثر فأكثر مترجمة خروقاتها في تشكل الأدوار والعلاقات والتعليم حسب أولويات الجنس، وربما تعدى الأمر أبعد من ذلك بماركة المولود الذكر والتكتم أو التطيّر بالمولود الأنثى، وما يترتب على هذه المعاملة مستقبلاً من آثار نفسية لكلا الجنسين، فالرجل مبعأ بالقيم الإيجابية، والمرأة تتحمل وزر مشيئتها .

مع مرور الزمن تصلبت هذه الطقوس العقائدية شيئاً فشيئاً في بنية النسق الثقافي، بدءاً من الأسرة ثم انتشرت في القبيلة والمجتمع .

وعلى الرغم من التطور العلمي والتكنولوجي للحياة المدنية في العصر الحديث وإدخال تحسينات عديدة على واقع المرأة، وتطور منطق الوعي المجتمعي اتجاه المرأة، خصوصاً فيما يتعلق بمسألة الحقوق والمكتسبات المادية كحق التعليم والعمل والمشاركة في الحياة المدنية والسياسية، إلا أن المرأة العربية ما تزال تعاني آثار ذلك القهر الاستعباد لفترة طويلة من الزمن حيث نجد يظهر من خلال كتابات المرأة المنطلق أساساً من منطق الحكي وفعل الكتابة المتجسد في الخطاب الروائي النسوي .

2. الأدوات النقدية للكتابة النسوية :

1- الكتابة في مواجهة سلطة المجتمع أو النسق الثقافي كما جاء في المشروع الثقافي لعبد الله الغدامي في مؤلفيه المرأة واللغة، وثقافة الوهم، وتعني المواجهة للأب والزوج حاجة نفسية واجتماعية لتحقيق الوجود الفعلي للذات.

2- الكتابة بالجسد : حيث شكل هذا النوع من الكتابة النسوية في بدايته تحفظا ورقابة شديدة حول انتشاره إلى درجة محاكمة بعض مفكره مثلما حدث مع الكاتبة اللبنانية ليلي بعلبكي التي أدمنت بافتعال أزمة أخلاقية كان الجسد موقد شرارتها برائحته وحركاته وسكناته، مطية للروح بالسرائر والهواجس، وكيف يمكن أن يصبح الجسد صيغة مجازية كبرى عن الذات والوجود، لقد أضحى الجسد محفلا أنثويا بامتياز للاحتجاج على الأوضاع المزرية التي أقصت المرأة على هامش الحياة .

3- الكتابة والقضايا الكبرى : ويتم فيه الكتابة لحماية الذاكرة من آثار الطمس والنسيان مثل قضايا الوطن، الحب والحرية والقومية عبر تفصيلات الزمان والمكان مترجمة في ملامح الشخصيات وطرائق كلامها ضد كل آثار الخو والتدليس التي يمارسها الاحتلال.

ونظرا لارتباط مفاهيم المقاربة الموضوعاتية مع التناس من حيث المبدأ ارتأينا أن نخصص للتناص مبحثا قصيرا لفهم ماهيته والتعرف على خواصه .

3. التناص مفهومه وخصائصه : جاء في معجم المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ما يلي : «فالتناص يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة»⁴ والتناص مصطلح جديد كما يقول محمد عزام «التناص intertextualité مفهوم جديد أدخلته الناقدة جوليا كريستيفا إلى حقل الدراسات الأدبية في أواسط الستينات من القرن العشرين أخذته عن باختين الذي اكتشف مفهوم الحوارية (البوليكونية أو تعدد الأصوات) عام 1929 وعدّته وظيفة تناصية تتقاطع فيها نصوص عديدة في المجتمع والتاريخ وسمّته (ايدولوجيا) ولكن تسمية (التناص) هي التي شاعت وانتشرت بشكل سريع ومثير، وأصبح التناص مفهوما مركزيا ينتقل من مجال دراسي إلى آخر حتى لقد صار (بؤرة) تتول عنها المصطلحات المتعددة : التناصية، المناص، التفاعل النصي، المتعاليات النصية، المتناص ...»⁵ ويضيف جمال الدين الحضور معقبا على هذه الظاهرة اللسانية «والتناص ظاهرة وليس منهج كما يحاول بعض النقاد مقارنته، لأن الاحداثيات الزمانية والمخيلية والعقلية والفكرية والسوسيولوجية وغيرها تفرض على فضاء النص تقاطعا بنائيا مع خطابات أخرى أو أقوال أو نصوص أخرى مقارنة هذه الظاهرة واكتشافها، هي إحدى الخطوات الهامة على طريق تفكيك الوحدة الأيديولوجية للنص، أما التركيز عليها باعتبارها منهجا لمقاربة النصوص فهو خلط قاس وصعب لما هو بنائي مع ما هو منهجي، أي خلط الظاهرة وتحريفها الى منهج»⁶.

الكتابة السردية سفر مع الذاكرة وتأمل لا يهدأ في العالم والوجود، لذلك فهي لا تتوفر على معطى جاهز أو دليل سابق لأنها تبدأ مغامرتها من بياض القرطاس اللبني الذي لا تقوى على ملئه محبرة ولا تحويه كتابة، ومن تقنياتها أنها تلجأ إلى استدعاء نصوص مختلفة ومتعددة شفوية كانت كالأمثال والحكم والأغاني والأراجيز وغيرها، أو مكتوبة كالكتب المقدسة والحديث الشريف وكتب السير والتراجم والتاريخ والفلسفة والسياسة والاقتصاد وغيرها، وهو إلحاق أو تضمين نص بآخر

بغرض وظيفي وتوسيع عالم الرواية وإلغاء الحدود بين ما هو أدبي وغير أدبي منصهرا في عجينة واحدة من أجل تقديم صورة نموذجية عن حضارة الأمة وطقسها الاجتماعي حيث «يأتي التناص إما مضمنا أو عرضا أو بالتداخل بين المعنى والمعنى أو بين شخصيات هذه الأخيرة التي يمنحها الكاتب سطوة الكلام لتعبر عن نفسها وعن غيرها، عن معاناة المثقف البسيط التي تظهر في تيمّتي التيه والضياح»⁷ وهي التيمة التي نصادفها بكثافة عند قراءة الرواية النسوية الجزائرية بشكل خاص والرواية المغاربية عموما .

ولئن كان التناص في الحكوي ضرورة بنيوية وحتمية سردية ضاغطة من أجل إنماء القص وبناء هيكل نصي يحتوي على المقومات الأساسية للفعل السردى، وهذا تماشيا مع تطلعات هذه الدراسة التي تهدف الى بلوغ بعض الأهداف المرجوة نذكر منها على سبيل التمثيل :

- الكشف عن المتواريات الميتاقصية في مستويات اللغة والأيدولوجيا والسوسيو ثقافية، وإجلاء المناطق الخفية في نسق الخطاب الأنثوي .
- تقديم وصف عام لبناء الحكاية «بحيث يمكن تلمس مفاصل التناص الأساسية من خلال استقراء واقع الحكاية الملحمية أو التاريخية... الخ، كما وردت في مصادرها الأصلية وكيفية إنشاء نص إبداعي آخر على تخومها، مع بيان خصوصية هذا النص الجديد»⁸
- وبناء على مبدأ المقاربة الإستمائية الهادفة الى تفكيك النص إلى وحداته الجزئية والنظر فيها بتمعن، ثم تركيبها بصيغة جديدة وبرؤية متفتحة، والتي تسمح في كل الأحوال بتجدد القراءات .
- محاولة الكشف عن دلالة الالتواءات النصية التي تعثر دينامية السرد، والدافعية وراء هذا الاجراء سواء إن كان هروبا من التوضع أو إثبات لحضوره .
- النظر في سنن هذا التركيب كما يصطلح عليه السعيد بنكراد في كتابه النص السردى نحو سيميائيات للأيدولوجيا⁹
- الوقوف عند شعرية التناص على مستوى الدلالة والتركيب كفضاء لانتعاش الأخيلا وتفريخ الأسرار على حد قول القاص محمد خضير .
- كما نلتقط التناص كمحفز على البحث والتنقيب في مهنته الشاقة المتمثلة في الجري الحثيث في حفرات النصوص، ليس بغرض إشاعتها ولكن بغرض تحيينها لاستقبال معان جديدة لم تر النور بعد، والجدير بالذكر أن نضع في حساباتنا أن التناص ليس مفهوم بريئا ولا شفافا نظرا لاتساع الدوائر المفهومية التي حاولت ضبطه، ويظهر ذلك من تعدد الاستعمالات المتداولة له في حقل اللسانيات النصية، وبالتالي فواجب الاحتراز من هذا التهافت النقدي الذي قد تصاحبه ارتدادات ايدولوجية متطرفة تخرج العمل عن سياقه إرضاء لشهوات النفس رغباتها .
- تتطلع الدراسة التناصية إلى تجاوز المعيارية البنيوية والتحول إلى ما بعدها وهذا خصوصا عندما تتحفظ على مبدأ انغلاق النص على ذاته، فيصبح النص في رؤية هذه المعالجة هو «قرين فكرة النصية أو الدال العام الشارد الذي يظل يبحث عن مدلوله ولن يجده مطلقا، وما يجده هو سلسلة من الدوال العائمة، وبعبارة أخرى هو تدمير لفكرة العلامة المكونة من دال (صوت) ومدلول (معنى ثابت أو متعال) إن التناص يضع النص دائما موضع الانتاج، أي موضع الدلالة المستمرة وليس في موضع

الاستهلاك، إنه يشتغل وفقا لتصور الكتابة بوصفها حالة من الاختلاف والارجاء الدائم، أي هي بنية لامركز لها، ولذلك فإنه يدمر الأبوة وخرافة النسب ويحرص في الوقت نفسه على تبديد النص وانفجاره، فيصبح النص بلا مركز أو أصل¹⁰ خاصة وأننا أمام نص أنثوي يتفق عليه أغلب الدارسين على اختلاف ملاحظه، باعتبار لغته وصوته المنتقد للنسق العام، وبالتالي فإن عقد مثل هذه المقاربة السوسيوثقافية سيكون له الأثر البالغ في فهم طلاس الخطاب الأنثوي .

يعد التناسل من عوامل إثراء اللغة الروائية نظرا لتعالقها مع غيرها من اللغات والثقافات والأساطير مثل حكاية ألف ليلة وليلة، وقصة الأميرة النائمة والأقزام السبعة وغيرها، «فالتناسل يرقى احتمالية الحدث العام أو الخاص إلى مقام التاريخ ويدرج الواقع في إطار منطقي مطابق لبنياتها الذهنية»¹¹

ويعتبر التناسل أهم ما يميز الرواية عن باقي الفنون الأدبية، يمكن تمثيله بالخلطة العجيبة التي تتمازج فيها النصوص الواقعية أو الخيالية لأن الرواية في حقيقتها ليست سوى لعبة سردية تتصل ببناء علاقات خارجية مع الوقائع بفعل التناسل الخارجي، ولكن يبقى المفيد في الأمر كله هو الوصول إلى إدراك الطريقة التي يبني بها السارد قصته مرتحلا، طائفا على نصوص شتى لينتهي به المطاف إلى شدّ خيوط سرده بإبرام علاقات التجاور والمصاهرة مع تلك النصوص، بقيمة مضافة تزيد المخيال السردى خصوبة ونماء «وعلى هذا فإن الحكم على الرواية كاملة بأنها تناسل ليس مخالفا للحقيقة الأدبية»¹² وبالرجوع إلى جذور المصطلح في التراث العربي نجد أنه يتضمن معنى الاقتباس «ويعني تضمين الكلام الأدبي شيئا من القرآن أو السنة أو سواهما من النصوص ويجوز تغيير المقتبس قليلا»¹³ .

وقد ساهمت أيضا الدراسات المعاصرة (ما بعد الحداثة) بمنهجها التفكيكي وخاصة في أعمال رولان بارت وجاك دريدا وغيرهم والتي أثرت بمفاهيم جديدة حول الأدب والنقد، واعتبرت كل قراءة نوعية بمثابة نص جديد .

تتويجا لهذه المقاربة البسيطة التي حاولنا من خلالها رصد دينامية البناء السردى في الرواية النسوية، من خلال شبكة علائقه مع غيره من النصوص الأخرى، والبحث في ملامح انبثاق الوعي الكتابي للمرأة ؟ كذات فاعلة ومنتجة للخطاب، وكان من مقتضيات هذا العمل تشريح جسد النص المكتوب وتقويض إرادته للكشف عن الظواهر الأدبية والفنية المتشابكة والمتواترة، عبر ميزان المقاربة الموضوعاتية التي تساعد على تحيين منطق المحايثة والتثوير والمساءلة والتأويل كوسيلة للبحث عن الحقيقة الغائبة عن الوعي، والمنطوية في شعاب الذات .

إنه لمن الطبيعي الالتفاف حول نص المرأة لاستكمال شروط هذه الدراسة التي تعنى ببناء معرفة علمية حول الكتابة النسوية، ومن البداهة أن ننظر في تجربة الكتابة عند المرأة المبدعة ومحاوره صوتها لإضافة القيمة الموضوعية للخطاب الإنساني. من خلال فعل الكتابة المرتكزة على مرونة اللغة وعلى تقنيات الخطاب السردى وبعد تحليل وتمحيص في خيوط المقاربة بين النماذج الروائية التي اعتمدناها في الدراسة توصلنا إلى الملاحظات التالية :

- هيكلية البناء السردى للخطاب النسوي يتشيد من زاوية نفسية التفافا حول الذات والجسد أولا ثم يتم إسقاط تفاصيلها على الواقع بشكل نسبي، بمعنى أنها قد لا تحافظ على حقيقتها الموضوعية، إذ يعترها بعض الزيف والتمويه. حيث يتضاعف الحضور الدلالي داخل الذات / الجسد / البيت، ويغيب ويتلاشى خارج تلك البؤر.

عبر تلك المفصلات الحكائية تبحر الذات الشهرزادية في دوامة الحكيم اللامتناه وتغوص في دواخل النفوس والأشخاص متوسدة الذاكرة والخيال .

- الاعتماد على أسلوب البوح والاعتراف والمذكرات السيرية، والاستذكارات والنجوى، مع الحوار لكسر رتابة الحكيم النمطي وبيان موقفها من الآخر . «التخييل الذاتي يحدد اليوم كل فضاء يقع بين السيرة الذاتية التي لا تريد الإفصاح عن ذاتها وبين تخييل لا يريد الانفصال عن كاتبه، ونظرا لأن مفهوم السيرة الذاتية أصبح يخيف الكتاب اليوم، كما لو أنه لا يتضمن أية دلالة إبداعية»¹⁴

- الاعتماد على الجمل القصيرة الموجزة، وأساليب التعجب والاستفهام، وفضاءات الفراغ، نقاط الحذف وهي من الوسائل الحديثة في التعبير، التي تؤدي وظيفتها البلاغية أثناء القراءة .

- تجهد المرأة المبدعة نفسها في كتابة نص لم ير النور بعد، لاستشعار الماوراء حسي في عالم الحلم والمحبوء، تشكّل هذا الوعي من جزاء الإلغاء القسري لدور المرأة، حيث « تبدأ الكتابة الذاتية في مجمل نصوصها بمرحلة الطفولة التي يسميها سيغموند فرويد " النص الضائع " وسيلاحظ القارئ هذه المختارات أن جلّ الكتابات اجتهدن وأجهدن الذاكرة والجسد في البحث عن هذا النص الضائع، إذ أنك لكي تتذكر طفولتك ينبغي الاستعانة بالجسد قبل الذاكرة »¹⁵ .

- قد لا يختلف اثنين أن أبرز تيمة لحضور الذات الأنثوية لا يمر إلا عبر قناة الجسد، حيث يلتقي النص مع المعنى، فترى المدينة مؤثثة بتمفصلات الجسد، وترى الوطن صورة مستنسخة عن الأم، كما ترى الحب فيض من نبع الأنوثة التي احتوت المكان والزمان . وقد يسهم الجسد في تثوير الدوال وإطلاق العنان للذات لاشتواء المطلق من الصور والمشاهد والمقاربات الممتلئة بهوية الجسد، لدرجة أن تشكيل النص كتابة تتزاحم في إنشائه معاني تمثالات الجسد، بالإضافة إلى إغناء الكتابة بمعجمية الجسد.

- التيمات النصية التي اتخذناها عتبات رمزية لإنشاء أجواء المقاربة كعتبة الصمت والبحر والجسد والاعتراف وغيرها تخدم الوظيفة الشعرية والأدبية للخطاب، وتجعل من الدوال النصية قبسات نورانية تعبر من الجسد إلى الذات ثم تنسخ عبورها في الواقع، فالمرأة تكتب جسدها في وعيها قبل أن تنسخه على الورق . وليس غريبا أن يكون الجسد مصدر إلهامها وإتقانها طقوس الكتابة، فهو مهبط الغريزة الجنسية ولذة الكتابة والقراءة، حيث أن الكتابة بشروط الجسد تلقى رواجاً لكثرة امتصاصها للمعاني الطافحة شعرية وجمالا، وقدرتها على تحيين اللغة وتفريخ الدوال . عندما يحضر الجسد يحضر معه الخيال بظله وطيفه، فيتشبع النص بالمعاني الدائبة في مداراته، ليصبح الجسد هو النواة المستقطبة لدوائر الحكيم اللامتناه، هو البداية والنهاية في آن .

- إن من مميزات الكتابة النسوية حينما تفرغ شحناتها العاطفية على النص، تستحيل الكتابة معها عالم مؤنسنا بقيم الحب والجمال .

- تعبئ المرأة المبدعة كل طاقتها الحسية والمعنوية لتجعل من كتابتها بؤرة سرية تستوقف القارئ عند عتباتها للكشف على أسرار النص . وعندما نصرف النظر إلى حركية السرد النسوي الذي يغذيه هاجس الاقتراب من الآخر كما يقول الغدامي، عبر أسئلة الذات والهوية لبناء جسور التواصل، فإبداع المرأة كما يقول الأخضر ابن السائح يراهن على حضور

الآخر، من خلال «امتلاك الوعي بالحضور الكلي للحواس والجسد والمكان وكيونة الأشياء التي تنزل بثقلها الثقافي والمعرفي على النص، وبين صوت الأنا، وسؤال الآخر يتدفق السرد مستكشفاً مكبوتات الأنا، ومصعداً شعرية الأشياء من حولها»¹⁶.

- النص النسوي مجال مفتوح على المغامرة والمقاومة وفضاء للتمويه والتعتيم، إذ أن كثرة التمثيلات والتلميحات وتقمص الأدوار في الحكيم، مؤشرات على براعة المرأة في حيل التلصص وحسن الإصغاء، إنه سرد يقع بين الحقيقة والشك، تلتفت فيه المرأة إلى البحث عن كينونتها، في شكل كتابة - ميكروسردية إن جاز تسميتها كذلك - تلغى فيها كل الأصوات ما عدا صوت المرأة. حيث يتعالى صدى الأنوثة في الماضي والحاضر بين البوح والاعتراف والحوار والمناجاة، والتوجس والانكماش من التواصل مع الآخر، ليبقى هذا التقاطع هو ديدن السرد النسوي. ومما يلاحظ في سردية المرأة هو الرغبة في امتلاك اللغة، وبالتالي امتلاك إرادة الفعل إنتاجاً وتأثيراً، وهذا ما يدعم حضور السرد النسوي على مستوى اللغة والأسلوب، حيث تتأثت الأمكنة بالعواطف الانسانية المفعمة بروح الآدمية لكسر جدار العزلة والصمت.

- قوة الكتابة عند المرأة يعكسه البناء اللغوي لنصها المنفتح على أشكال مختلفة من الكتابة، مثل أدب السيرة والاعترافات، الفنون التشكيلية والدرامية، علم النفس، التاريخ، والفلسفة الميثولوجيا، فالمادة الحكائية مزيج من التجارب المتنوعة الخاصة بحياة المرأة تبعث على الإدهاش والمفاجأة. فكثيراً ما يتشكل السرد النسوي من الهامش ومن التفاصيل السرية لخصوصيات المرأة وعلاقاتها الحميمة. حيث تتخذ الساردة من الحلم وسيلة للتمويه لفك الرقابة عن الذات، كما تراهن على تقنيات السرد الحديثة للموقع، فنجد تقنية الرؤية من الخلف التي تسلم للراوي مقاليد الحكم في الحكاية ليطلع على أحوال الشخصيات الظاهرية، كما نجد الرؤية الموازية لأفعال السرد حيث يندمج السارد مع الحكاية فيتقارب فعل السرد مع زمن الحكاية. هو ذاك ملمح السرد النسوي الذي يكشف عن إيقاع حضور الذات الأنثوية القائم على جدلية الذاتي والكوني في مداره الحلزوني الذي يطمح إلى رؤية الكون من محراب الذات، وكانت اللغة هي لبوس المرأة في القول، وتدوين كينونتها من الحقيقة أو الخيال، وإلى التوفيق بين تجربة العشق والقدرة على الكتابة، وكأن الرواية النسوية (المغربية) تبحث عن الارتكاز حول التكامل وتنفر من الصراع التباعد.

- «على أية حال تبدو حالة الجدل حول الكتابة النسوية ظاهرة صحية وضرورية لمحاكمة مشهدها الثقافي في تناقضاته واختلافاته، ففي الوقت الذي نالت فيه المرأة في الغرب المستوى نفسه تقريباً الذي وصل إليه الرجل هناك في بنية الحياة العامة ومع ذلك هناك نظرية نسوية ممتدة في الثقافة والإبداع، فكيف لا يكون في عوالمنا النامية المتناقضة ظاهرة الاختلاف بين كتابتي الذكور والإناث، خاصة وأن طبيعة الثقافة في مجتمعاتنا لها ملمح وحيد، هو ملمح الثقافة الأبوية الذكورية»¹⁷. وعلى العموم "قد تتقن الكاتبة بقلم الرجل، كما يتقن الكاتب الكتابة بقلم المرأة ولكن كلا منهما يتقن الكتابة بقلمه الخاص، وفي ظروفه الخاصة، إذ تعد ظروف الكتابة النسوية قائمة على محاربة الرجل بصفته المضطهد (بكسر الهاء) والقمعي، في حين تعاملت كتابة الرجل مع المرأة بصفته شيئاً لا إنساناً!! من خلال ما سبق أرجو ألا تنزاح الحالة الثقافية إلى معركة بين إبداع المرأة والرجل، كما أرجو ألا تستمر هيمنة أيديولوجيا محاربة الرجل على الكتابة النسوية

التي قد تخرجها من جماليات الفن إلى الكتابة النرجسية الشوفينية، وأن تتجه الكتابة الذكورية إلى شخصية المرأة بصفتها إنسانا بتعبير الدكتور حسين المناصرة¹⁸.

وفي الختام نخلص أن الكتابة النسوية قد حققت خطوات مهمة في فضاء السرديات واستطاعت أن تبسط مكنونات وخصوصيات لا يستطيع الرجل أن يوضحها مهما أوتي من مهارات كتابية.

المصادر والمراجع:

- ¹ - دانييل برجيز : النقد الموضوعاتي ، ترضوان ظاظا ، مراجعة المنصف الشنوفي ، عالم المعرفة ع 221 ، الكويت 1997 ، ص: 107.
- ² - نفسه ص: 130.
- ³ - المرجع السابق ص: 113.
- ⁴ - نعمان بوقرة : المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ، جدار للكتاب العالمي ط 1 الأردن 2009 ص: 101.
- ⁵ - محمد عزام : شعرية الخطاب السردى ، اتحاد الكتاب العرب دمشق 2005 ، ص : 116.
- ⁶ - جمال الدين الخضور : زمن النص ، دار الحصاد ط 2 ، سوريا 1995 ص: 28.
- ⁷ - بناني نسيم : الروائي المغربي عز الدين التازي (في أسئلة الرواية وانشغالها الأساسية ، ورشة الرواية (8) جامعة الجزائر 2009 ، ص: 10).
- ⁸ - عبد الله إبراهيم : المتخيل السردى ، مقاربات نقدية التناس والروى والدلالة ، المركز الثقافي العربي ط 1 ، الدار البيضاء / بيروت 1990 ، ص: 21.
- ⁹ - ينظر سعيد بنكراد : النص السردى نحو سيميائيات للأيدولوجيا ، دار الأمان ط 1 الرباط 1996 ص: (من ص 13 إلى ص 23).
- ¹⁰ - مصطفى بيومي عبد السلام : التناس مقارنة نظرية شارحة ، عالم الفكر مج 40 ، ع 1 المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت 2011 ، ص 95.
- ¹¹ - برنارفايت : النص الروائى تقنيات ومناهج ، تر رشيد بن جدو ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر 1999 ، ص : 37.
- ¹² - نورة بنت محمد بن ناصر المزي : البنية السردية في الرواية السعودية ص: 223. (أطروحة دكتوراه)، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية 2008،
- ¹³ - مجدي وهبة كامل المهندس : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ص: 55. مكتبة لبنان ط 2، بيروت 1984
- ¹⁴ - محمود عبد الغني : تأنيث الاعتراف سرد ال أنا في الكتابة النسائية العربية ، كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط ط 1 المغرب 2014 ص: 22.
- ¹⁵ - نفسه ص: 23.
- ¹⁶ - الأخضر ابن السائح : سرد المرأة وفعل الكتابة ، ، دراسة نقدية في السرد وآليات البناء- دار التنوير، د ط ، الجزائر 2012 ص: 392 ص: 393.
- ¹⁷ - حسين المناصرة : النسوية في الثقافة والإبداع ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن 2008 ، ص: 5.
- ¹⁸ - نفسه ص: 7.